دمشـق

دمشق هي عاصمة الجمهورية العربية السّورية وأكثر مُدنها سُكانًا، وقاعدة مُحافظة دمشق التّي تضمّ أقضية دوما والزبداني والقطيفة والنبك.

تقع دمشق في الجهة الجنوبية الغربية من البلاد، إلى الشمال الشرقي من جبل الشيخ، في سهل فسيح ومُنبَسط، ويخترقها نهر بردى الذي يسقي بساتينها وجنانها، ويطلّ عليها لجهة الشّمال جبل قاسيون. وهي مركز مُحافظة دمشق، ومركزٌ مُهمٌّ من مراكز التّجارة والصناعة والزراعة والثقافة.

تشتهر دمشق بالصّناعات الكيماوية والمعدنية والكهربائية وصناعة المواد السّكرية والحلويات والمرَبّات، وصناعة الغزل والنسيج بسبب انتشار زراعة القطن فيها، ومطاحن الحبوب والصّناعات البلاستيكية، وصناعة الجلود والأحذية وغيرها كثير ممّا يدل على أن الصناعة تُمثّل قطاعًا مُتطوّرًا ونشيطًا في الجمهورية العربية السورية حيث تعتمد على صناعاتها المحليّة. وأسواق دمشق عامرةٌ دائمًا بالمُنتجات والسّلع، حيث تعرَض أصنافًا متنوّعةً من السّلع، ويقصدها التّجار من جميع البلدان العربية والأجنبية. وأهمّ أسواقها سوق الحميدية وهو من أكبر الأسواق الشّعبية، ويليه سوق مدحت باشا. والسّوقان ما زالا يُحافظان على طابعهما القديم.

في دمشق جامعة علميّة عريقة تضمّ مُختلف أنواع التّخصصات. وفيها قصر آل العظم والمُتحف الحربي والمُتحف الوطني ومسجد بني أميّة التاريخي والعديد من الآثار البيزنطية والعربية وعدد كبير من المساجد التاريخية والمقامات، وأهمّها مقام السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب، وهو يستقطب العديد من الزّوار الذين يقصدونه من أماكن مُختلفة، ومقام القائد صلاح

الدّين الأيوبي والعديد من العُلماء والأولياء. كما فيها مزار وكنيسة الرّسول بولس حيث التجأ بعد تحوّله إلى المسيحيّة، ومنها انطلق مُبشّرًا في العالم القديم.

وفي دمشق معرضٌ تجاريٌّ مشهور، وفيها مطاران: الأول مطار المزّة، وهو مطار قديم يقع إلى الغرب منها، والثاني مطار حديث متطوّر يقع إلى الجنوب الشرقي ويبعد عنها حوالي 30 كيلو مترًا.

كما شُيّد في دمشق العديد من الفنادق الفخمة الكبيرة، وصروح فارعة كقصر الضيافة الجديد، والقصر الجمهوري الضخم، ومكتبة الأسد الكبيرة.

وتمّ على طريق المطار إنشاء مركز للمؤتمرات، وكذلك مدينة السينما والكليّة العسكرية للبنات ومشروع ومجمّع دار الأوبرا.

وتُعتبر دمشق أقدم العواصم في التّاريخ وأعرقها. سُمّيت بدمشق من «الدّمشَقَة» وهي السّرعة، لأنهم دَمشَقوا في بنائها، أي أسرعوا. وقيل سُمّيت بدمشق على اسم «دماشق بن قاني بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح».

وقيل إنّ أوّل مَن بَنى دمشق بيوراسف، وقيل جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح. بناها بعد مولد إبراهيم بخمس سنين. وقيل إنّ بانيها عازر غلام إبراهيم وكان اسمه «دمشق» فسُمّيت باسمه.

وقالوا إنّ أوّل حائط وُضِع في الأرض بعد الطوفان هو حائط دمشق

وحرّان. وفي بعض التّفاسير أنّ دمشق هي الربوة في قوله تعالى: «وآويناها إلى ربوةٍ ذات قرارٍ ومعين».

كانت دمشق قاعدة الآراميّن عام 940 ق. م.ح وافتتحها العرب المسلمون في أولى سنواتهم، ثم صارت عاصمة الخلافة الأموية. وتولى عليها العبّاسيون، فصارت مركزًا للشّعراء يَفِدُون إليها يمدحون الخُلفاء فيها سعيًا وراء التّكسب المادي. ثُم توالى عليها الطّولونيون والإخشيديون والفاطميون والأيوبيّون والمماليك. ودخلها تيمورلنك عام 1400م وأحرقها. واحتلّها العُثمانيون سنة 1516م، وحرّرها المصريون عام 1832م بقيادة إبراهيم بن محمد علي باشا.

تشتهر دمشق بحسن عمارتها ونزاهة رقعتها ووفرة فاكهتها وكثرة مياهها. وأجمل ما فيها غوطتها التي لم يُر في الزمن القديم مثلها. ونُسِبَ إلى الأحمصي قوله: جنّات الدّنيا ثلاث: الغُوطة في دمشق ونهر بلخ ونهر الأبلّة.

مِن أهــمّ مساجد دمشق مسجد إبراهيم، وهو مسجدان، أحدهما في الأشعرين والآخر في برزة، مسجد باب الشرقي.

على أنّ أهم مساجد دمشق هو مسجد بني أميّة أو المسجد الأموي، ويُعَد مثالًا رائعًا من الحُسن والصّنعة في العمارة. بدأ عمارته الوليد بن عبد الملك عام 87هـ. واستمر العمل فيه تسع سنين.

وقد قال عنه أحد عُلماء الآثار الغربيّين:

ـ إن لم يكن أعظم الأبنية التي قامت في أرض الإسلام حتى ذلك الوقت فحسب، بل أحد ابتكارات فن البناء العالمي في كلّ الأزمان وفي البلاد.

وفي دمشق من الآثار كنيسة «حنانيا» القديمة، وهي تحتفظ بطابعها البسيط في قلب كهفٍ حجري. وقريبًا من دمشق دير أثريّ شُيّدَ على تلةٍ صخريةٍ في صيدنايا، وهو مزارٌ دينيّ.

وبها أسواق شرقية، تُعرَض فيها البضائع محليّة الصُنع ذات الطّابع الشّرقي، وخاصّةً الدمشقية، كالموزاييك الدقيق الصُنع، ونسيج البروكار المصنوع على الأنـوال اليدوية، وصناعات الخشب المُطعّم بالصّدف والزخرف، والمُطرّزات وأشغال الإبرة، والآنية النّحاسية المنقوشة.

وأشهر هذه الأسواق: «سوق الحميديّة»، وفيه يقع الجامع الأموي، وقد بنى السّوق السّلطان عبد الحميد قبل أكثر من مائة عامٍ، فسُمّيت باسمه.

أمّا مُتحف دمشق فهو من أجمل متاحف المنطقة وأغناها. وتشمل آثاره العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية والعهد الإسلامي. وأهمّ ما في فرع الآثار السّابقة للفتح اليوناني مجموعة آثار ماري من تماثيل الألباستر، وقطع الصّدف، ولوحات الفخّار وآثار رأس شمرا (أوجاريت)، ومن ضمنها حجر الألفباء الفينيقيّة، وبه مجموعة برونزية ثمينة.

وفي دمشق الآثار العُثمانية، والتّكية السُليمانية، وقصر العظم، وهو نموذج جميل للفنّ المعماري في منتصف القرن 18، وقد حُوِّل إلى مُتحف للتقاليد الشّعبية، وصنفت مُنظمة اليونسكو دمشق القديمة مدينة تُراثية عالمية عام 1979م.

المسجد الأموي

يوجد المسجد الأموي في دمشق عند نهاية سوق الحميدية. وقد قام ببنائه الوليد بن عبد الملك في عام سبعمائة وست عشرة ميلادية، حين كانت دمشق عاصمة للإمبراطورية العربية الإسلامية.

ومن أبرز ملامح المسجد المآذن الثلاثة المختلفة، والأجزاء العليا التي تم تجديدها خلال حكم الأيوبيين والمماليك والعثمانيين. وللمسجد حجرة كبيرة للصلاة وفناء واسع. أما الجدران الداخلية فهي مغطاة بلوحات الفسيفساء الزجاجية الملونة والمطلية بالذهب، حيث تصور مناظر طبيعية خلابة. أما قبة المسجد فهي تتميز بفخامتها ولونها الأزرق الذي يميل إلى الرمادي.

مسجد خالد بن الوليد

يقع مسجد خالد بن الوليد القائد العظيم للجيوش العربية الإسلامية في حمص ثالث أهم المدن في سوريا. والتي توجد على بعد مائة وستين كيلو مترًا شمال دمشق.

يُعد مسجد خالد بن الوليد من أهم الآثار التاريخية المُتبقية رغم الزلازل التي قضت على مُعظم الآثار الموجودة في هذه المدينة، وللمسجد مئذنتان طويلتان من الأحجار البيضاء التي تُضفي بعض الضوء على المبنى. ويتجلى

فن المعمار السوري الأصيل في الأعمدة الرفيعة التي تتشكل من أحجار بيضاء وسوداء مصفوفة في خطوط عرضية.

***

حلب

حلب هي المدينة الثانية في سورية بعد العاصمة دمشق. وتقع في الشمال الغربي من سورية، ويبلغ عدد سُكانها حوالي المليوني نسمة، وتُعدّ مركزًا تجاريًا قديمًا وما تزال. فقد اتّسعت تجارتها قديمًا لتصل إلى الهند والصين وأقاصي أوروبا وغيرها. ولذلك تجد الخانات التي بُنِيَت في القرن الثالث عشر، فقد تحوّلت إلى مقرٍ لإقامة الجاليات الأجنبية والأوروبية منها خصوصًا.

تُعدّ حلب اليوم مركزًا صناعيًا كبيرًا بالإضافة إلى كونها مركزًا تجاريًا مُهمًا. كما إنّها مدينة أثريةٌ قديمة. فقد كانت جُزءًا من الإمبراطورية الحيثّية (الألف الثاني قبل الميلاد) وضمّها الآشوريون في عام 738 ق. م. وبقيت تحت حُكم الأخمينيّين إلى أن جاء الإسكندر الكبير.

وبعد أن أصبحت من مُمتلكات سلوقوس نيكاتور احتلّها الرومان في العام 65 ق. م، وهدمها الفُرس بعدهم. ودخل العرب المُسلمون حلب سلمًا بقيادة الصّحابيان أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد رضي الله عنهما من باب إنطاكية ووقفوا داخل الباب ووضعوا أتراسهم في مكانٍ، فبُنيَ في ذلك المكان مسجدٌ يعود تاريخ بنائه إلى القرن الهجري الأوّل. وعَرَفت مدينة حلب فترة ازدهارٍ في عهد الخلافة العبّاسية، حتّى جعل الحمدانيّون منها إمارةً مستقلّةً ومزدهرةً. ثم وقعت عام 1015م تحت حُكم الفاطميين، ثُم السّلجوقيين (1086 ـ 1117 م)، ثُم الزّنكيين والأيوبيين، وغزاها هولاكو القائد التّتري، ودمّرها في عام 1260م، ثمّ حكمها المماليك وبعدهم العثمانيّون (1516 ـ 1918م) وجعلوا منها ولايةً. وفي عام1920م جعلها الفرنسيون قاعدة دولةٍ مستقلّةٍ.

من معالم حلب الأثرية الجامع الكبير (جامع زكريا بن يحيى) حيث يُوجد فيه قبر له، وهو المسجد الأمويّ حيث بُني في العصر الأموي الذي كانت أرضه في العهد البيزنطي بستانًا للكنيسة العُظمى. ولمّا فتح العرب المُسلمون حلب صالحوا أهلها على

موضع المسجد الذي بُنِيَ في عهد الوليد بن عبد الملك أو في أوائل عهد أخيه سُليمان. وقد تهدّم مرّات وجُدّد. وفيها قلعة حلب الشهيرة التي كانت عاصمة الدّولة الحَمَدانيّة التي وصلت إلى أوجها في عهد سَيْف الدَّوْلَة الحَمَداني الذي أكثر من غزو الرّوم. وفي مواجهة القلعة، وقُرب المدرسة السُلطانية، وتقع المدرسة الخسرويّة (وهي عبارة عن جامع ومدرسة وتكية) التي أمر ببنائها خسرو باشا العُثماني الذي كان واليًا على حلب ابتداءً من عام 1537م.

والجامع يحوي إلى الآن الثانوية الشّرعية التي تُعلّم العلوم الشرعية والكونية وتمنح الشّهادة الثانوية. وهكذا كانت الجوامع مراكز للعبادة والعلم والأعمال الخيرية الاجتماعية. وأحصُوا في حلب أكثر من 60 مدرسةٍ أثريةٍ قديمةٍ وأكثر من 25 زاوية دينية تعليميّة. وتتميّز حلب اليوم بكونها مركزًا صناعيًا مُهمًا، إذ فيها العديد من معامل الصّناعات الثّقيلة، بالإضافة إلى كونها مركزًا تجاريًا مرموقًا بحُكم موقعها الإستراتيجي القريب من تُركيا والعراق، وصنفت مُنظمة اليونسكو حلب القديمة مدينة تُراثية عالمية عام 1986م.

***

حـمص

تُعتبر حمص ثالث مدينة سورية من حيث عدد السكان والأهمية بعد دمشق وحلب. تقع في الجزء الغربي من وسط سورية، وعلى الطريق بين دمشق وحلب. تبعد 160 كم عن العاصمة دمشق، وهي مركز أكبر المُحافظات السّورية. وتُعدّ بموقعها المتوسّط همزة الوصل بين المناطق

الشمالية والجنوبية والغربية والشّرقية، وترتفع عن سطح البحر 508 أمتار.

يبلغ عدد سكّانها 800 ألف نسمة، وعدد سُكّان مُحافظتها نحو ثلاثة ملايين نسمة، وتبلغ مساحتها 42218 كم أي نحو أربعة أضعاف مساحة الجمهورية اللّبنانية، وتُعدّ سوقًا للبادية السّورية. وهي مركز مُهمّ للزراعة كزراعة الحبوب والخضار والقطن والشمندر السُكري. كما إنّها مركز صناعي يهتمّ بصناعة المنسوجات، وهي غنية بالمعامل والمصانع، وفيها مصفاة للنّفط. وتقع قلعة حمص فوق تلٍ ارتفاعه 32 مترًا. فيها بُرجان يعودان إلى العهد الأيوبي. وتعود بقية تحصيناتها إلى العهدين المملوكي والعُثماني. ولعبت القلعة دورًا مرموقًا في التّاريخ، وبخاصّةً في عهد الدّولتين الزّنكية والأيوبيّة وكذلك المماليك. وكان لسور حمص سبعة أبواب اندثرت. وفيها مجموعة من الجوامع الأثرية كجامع الدالاتي وجامع الخليفة عمر بن عبد العزيز وفيه قبره، ومسجد أبي ذر الغفاري. أما أشهر الجوامع على الإطلاق فهي: جامع الصحابي خالد بن الوليد وفيه قبره، وجامع النوري الكبير وكان معبدًا وثنيًا ثم تحوّل بعد الفتح الإسلامي إلى مسجدٍ رمّمه وجدّده الملك الزّنكي محمود نور الدين، فحمل اسمه «النوري».

تتركّز حول هذا الجامع الحمّامات الشهيرة، بالإضافة إلى العديد من الأسواق والخانات القديمة. وفي حمص مجموعة كنائس قديمة، منها كنيسة ما زالت آثارها قائمة في حيّ آل الزّهراوي، ويعود تاريخها إلى القرن الثّالث الميلادي، وكنيسة السّيدة أم الزّنار ويعود تاريخ بناء هيكلها إلى القرن الخامس الميلادي.

أمّا الآثار في المُدن التابعة لمُحافظة حمص فهي كثيرة جدًا، منها مدينة تدمر الصّحراوية الشهيرة. وفي منطقة «تلكلخ» قلعة الحصن، ودير مارجرجس، ونبع الفوار المُقدّس. وفي منطقة القصير تلّ النبي مَند وطواحين وجسور وقناطر. وفي منطقة الرّستن كهوف أثرية وأقنية رومانية والقبو الأبيض. وفي منطقة المخرم قصر الشّندفيان.

حمص مدينة مُغرقة في القِدَم. وسكنها الإنسان الحجري مُنذ 50 ألف عام ق. م. وتعاقب على سكنها الأموريون، والحيثيون، والفينقيون، والآراميون، واليونان، والرومان، والعرب والأتراك، كما وردَ ذكر حمص في التّوراة أكثر من مرةٍ. وقرب حمص وقعت معركة قادش التي انتصر فيها رمسيس الثاني المصري على الحيثيين، وعندها هزم أورليان الملكة زنوبيا في 272م.

وأصيبت حمص بزلزالين مُدمّرين في عامي 1127م، و 1307م. وفي عام 80 ق. م. ظفرت حمص باستقلالٍ إداري إذ حُكِمَت من قِبَل ملوكها المحليّين من أسرة سمسيجرام (80 ق. م. ـ 79م) الذين بلغت حمص في عهدهم أوج الإزدهار. ثُم عادت حمص ودخلت تحت الحُكم الرّوماني، واستقلّت أسرة «السّميذع» العربية في تدمر وحَكَمت سورية أيّام أذينة الثاني (245 ـ 226) وزوّجته زنوبيا. ثم حكم حمص الغساسنة العرب برعاية البيزنطيين.

وعرفت حمص في عهد الخلفاء الراشدين شأنًا عظيمًا حيث كان فتح حمص في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب. وبقي لحمص مركزها المرموق طيلة عهد الأمويين ومطلع عهد العباسيين، ثُم انحطّت مكانتها السياسية لأنّها كانت بين آونةٍ وأخرى تُعلن العصيان وتُشعل الثّورات ضد العبّاسيين وولاتهم، فلا تحصد إلاّ الخراب والدّمار.

لمّا جاء الصليبيون عجزوا عن الاستيلاء عليها لدفاع أهلها عنها. ولما استولى القائد التّتري تيمورلنك على بلاد الشام، مرَّ بمدينة حمص فلم يدمّرها أو يستبيحها كما فعل ببقية المُدن السورية، بل وهبها لجثمان الصّحابي خالد بن الوليد، وقال: ـ يا خالد إن حمص هديتي إليك أقدّمها من بطلٍ إلى بطلٍ.

وفي الحرب العالمية الأولى، شارك عدد من أبنائها في الثورة العربية، وعلّق جمال باشا ثلاثةً من أبطالها على أعواد المشانق عام 1916، وهُم: الشّيخ عبد الحميد الـزّهـراوي، والمُحامي رفيق رزق سلّوم، والدكتور عزة الجندي.

ويُوجد في حمص مدينة قديمة تُوضع على مساحة بحدود 1.2 كم2 داخل سور المدينة وهي مبنية فوق المدينة الرومانية القديمة وتتميز بشوارعها الضيقة والملتوية، وبيوتها المبنية من الحجر والخشب والطين، وبأسواقها التُجارية الضيقة والمسقوفة والمُغلقة. ويمر فيها نهر العاصي الذي تغني به الكثير من الشعراء ويقسمها لقسمين يفصلهما عن نهر العاصي منطقة بساتين خضراء تُشكل حزام أخضر للمدينة ولا يسمح بالبناء فيه. وتشتهر مدينة حمص بهوائها العليل ولها مكانة أثرية هامة نظرًا لموقعها وتعدد وتنوع آثارها التي تعود لمُختلف العصور.

إنَّ مدينة حمص مدينة قديمة جدًا يرجع تاريخها إلى ما قبل ميلاد السيد المسيح بحوالي 2300 سنة، وشهدت الحضارات والممالك المختلفة التي مرت على منطقة بلاد الشام بكل أنواعها، وظلت زمنًا تُعرف بأسماء مُختلفة [صوبا ـ أميسا ـ حمس]، وهُناك اختلاف في أصل تسميتها بين المؤرخين،

ولكن الظهور الحضاري الثابت والواضح للمدينة كان عام 64 قبل الميلاد حين دخلها الرومان أثناء اجتياحهم لبلاد الشام وحظيت برعاية خاصة منهم، وتزوج القادة العسكريون الرومان من نسائها اللواتي أنجبن عددًا من القياصرة الذين حكموا الإمبراطورية الرومانية، وقد دخلها العرب المُسلمون بعد معركة اليرموك على يد خالد بن الوليد وأبو عُبيدة عامر بن الجراح عام 633 ميلادية المُوافق عام 16 هجرية، ودخلت التاريخ الإسلامي لبلاد الشام مُنذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا.

ومن المعالم الأثرية والتُراثية الهامة في مدينة حمص: قلعة حمص: وتقع في الجنوب الغربي من مدينة حمص القديمة على تل ارتفاعه 32م، وفيها بُرجان يعودان إلى العهد الأيوبي، أما باقي تحصيناتها فتعود إلى العهدين المملوكي و العُثماني، وقد لعبت دورًا مرموقًا في التاريخ وبخاصة في عهد الدولة الأيوبية والمماليك.

سور حمص

يعود تاريخ بناء السور في أصله إلى الحثيين والآراميين وقد رممه الروم و أولاه الأيوبيون عنايتهم وقد تعاقبت عليه الكثير من الحضارات، وكان يعتبر السور الحصن المتين لحماية المدينة من الأعداء في السابق، وحاليًا تظهر أثار السور في الجهة الشرقية من المدينة، و للسور أبراج دفاعية، وله سبعة أبواب لا تزال من حيث الموقع مُحافظة على وظيفتها التاريخية، وهي التي تربط المدينة القديمة بالمدينة ككُل وهي: باب تدمر ـ باب السباع ـ باب الدريب ـ باب التُركمان ـ باب هود – باب المسدود ـ السوق.

يوجد بحلب مجموعة من الجوامع الأثرية منها: جامع الصحابي خالد

بن الوليد: ويعرف بجامع (سيدي خالد) ويقع في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة حمص القديمة ويعود بناؤه بوضعه الحالي إلى العهد العُثماني إذ أقيم على أنقاض المسجد القديم الذي كان قائمًا وفق الطراز العُثماني ممزوجًا بطراز عربي، و يتميز بمأذنتيه العاليتين وقبابه التسع، ويضم قبرالصحابي خالد بن الوليد، والجامع النوري الكبير: يقع وسط مدينة حمص، وقد كان في القديم معبدًا وثنيًا وتحول بعد الفتح الإسلامي إلى مسجد رممه وجدد بناؤه الملك الزنكي محمود نور الدين فحمل اسم (النوري)، وقد اعتبر هذا الجامع جامعة القرن الماضي وبداية هذا القرن حيث كان يتم التدريس فيه، ويُعد من أقدم أماكن العبادة في المدينة، هو ومسجد أبي ذر الغفاري، ومسجد الخليفة عُمر بن عبد العزيز.

***

حماه

حماه هي رابع مدينةٍ سوريةٍ من حيث عدد السكان بعد دمشق وحلب وحمص، إذ يبلغ عدد سكّانها نحو نصف مليون نسمةٍ.

تقع المدينة وسط منطقةٍ خصبةٍ على ضفاف العاصي وتبعد عن العاصمة دمشق 209 كيلومترات، وترتفع نحو 300 متر عن سطح البحر، ويمرّ فيها الطريق الرّئيسي الواصل بين دمشق وحلب. وأهمّ ما يميّزها ويقترن باسمها نهر

العاصي ونواعيره، والذي يقسمها إلى قسمين: الحاضر في شرقيه، والسّوق في غربيه، وتتناثر بيوتها على ضفّتيه، وفي وسطها قلعة أثرية تحتوي على كثيرٍ من القطع الأثرية النّفيسة.

أُطلِقَ على مدينة حماه «مدينة النّواعير» لكثرتها في المدينة وضواحيها. ويعود تاريخ النّواعير إلى عهد الآراميين، وبلغ عددها في مُحافظة حماه 102 ناعورة، بما فيها 16 ناعورة في المدينة نفسها. وفي حماه موقعان أثريان مهمّان، هما قصر ابن وردان الذي يبعد 70 كيلومترًا شرقي مدينة حماه، وقد بُني في عهد الإمبراطور البيزنطي جوستنيانوس الأوّل (527 ـ 565 م)، وقلعة شيزر الواقعة على بعد 25 كيلومترًا شمال غربي حماه، وقد وُرِدَ ذكرها للمرّة الأولى حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد، في عهد الفرعون «تحتمس».

***

اللاّذقيّة

تقع مدينة اللاذقية السّوريّة على شاطئ البحر الأبيض المتوسّط الشمالي الشرقي في شمال غرب سورية، مُقابل أقصى طَرَف قبرص. كانت قديمًا مرفأً مهمًّا، وهي الآن ميناء رئيسيّ للجمهوريّة العربية السّورية.

ولمّا كانت اللاذقية مسرحًا للحروب الطاحنة والغزوات السالفة والمخربة من قِبَل شعوبٍ كثيرة وتعرّضها للزلازل العديدة .. كُلّ هذا أثّر في اندثار آثارها. فلا

عجب ألا نرى فيها أيّة آثار أكانت مدنيّة أم دينيةً مُهمةً. فلم يتبقّ شيء يُذكَر من سور المدينة ومن مبانيها وشوارعها وأحيائها القديمة.

فمن الآثار الباقية المسرح الكبير الذي لا يَظهر منه إلاّ أطراف متناثرة هُنا وهُناك، إضافةً إلى قُبّة قوس النّصر اليونانية والأعمدة الأربعة التّي شُيِّدَت تكريمًا للإمبراطور سبتيموس سامبروس الرّوماني. وفي العهد الفينيقي الذي يعود إلى القرن الثاني عشر ق. مز أُطلِقَ على مدينة اللاّذقية اسم «أمانثا»، وقيل إنّها «راماثا» و«راميتا» أي «المُرتفعة». فكلمة اللاذقية بالذّال المُعجمة مكسورة، وقاف مكسورة وياء مشدودة ثم هاء في الآخر معناها مدينة عتيقة جدًا. وأطلق عليها «فيلون» اسم «راماواثوس» ومعناها «الإله السّامي». وجاءت تسميتها بالشاطئ الأبيض، وسمّاها القائد اليوناني «سلوقس نيكاتور» مُجدّد بنائها «لاوذيقيا» أو «لاوذيسيا» نسبةً إلى والدته، علمًا أنّ مُدُنًا كثيرةً أخذت هذا الاسم.

وتمييزًا لها عن بقيّة المُدُن، سُمّيَت بـ«لاذقية البحر» أو «لاذقية الشّام». وشرّفها يوليوس قيصر باسم «جوليا»، ودعاها الإمبراطور الرّوماني «سبتيموس ساديروس» سيبتيما السّافرية، وأطلق عليها العرب اسم «لاذقية العرب» ووصفوها بعروس السّاحل. بما أنّ تسمية المدينة تعود إلى القرن الثّاني عشر ق. م. أيّام الفينيقيّين، فهذا دليلٌ على قِدَم بناء المدينة. ولكن مُجدّد بناؤها هو الحاكم «سلومش نيكاتور» ما بين 312 و281 ق. م.، وكان ذلك في السّنة الثالثة من موت الإسكندر المقدوني. ولكن أغلب المصادر العربية

أجمَعت على أنّ بانيها هو الحاكم «سلوقس». وهناك أسطورةٌ لبنائها، مفادها أنّه عندما عزم سلوقس على بناء المدينة، توجّه إلى معبد الإله زوس وقدّم له القرابين، سائلًا إيّاه أن يهديه إلى المكان المناسب لبناء المدينة. وفيما هو غارقٌ في ابتهالاته وتضرّعاته، حطّ على المذبح نسرٌ ضخمٌ واختطف قسمًا من الذّبيحة وطار بها.

فانزعج سلوقس وجرى وراء النّسر فقاده المسير إلى صخرةٍ مرُتفعةٍ تُشرف على البحر. وهناك برز له خنزيرٌ بريٌّ فهاجمه، فانشغل سلوقس عن ملاحقة النّسر بالتّصدي للخنزير فقتله. ففهم سلوقس أن مشيئة الإله زوس بأن يبني المدينة في هذا المكان. فأمر رجاله بأن يخطّوا بدمّ الخنزير موضع أسوار المدينة، ثم فوق جُثّته أقيمت أوّل بناياته وأُطلِقَ على المدينة الجديدة اسم والدته «لاوذيسية».

ولكي تحظى المدينة ببركة الآلهة، قدّم لها قربانًا فتاة حسناء تُدعى «أغاني»، ثُم أمر بأن يُنصَب تمثالٌ للفتاة ليجلب السّعادة إلى المدينة. إنّ ندرة المُكتشفات الأثريّة التي تعود للعصور الحجرية والتاريخية في المدينة لا يعني أنّ مدينة اللاذقية حديثة العهد.

لكن مدينة اللاّذقية قديمةٌ وهذا ما دلّ عليه معنى اسمها: «عتيقة جدًا». ووُرِوَد اسمها في العهد الفينيقي بـ«أمانثا». وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّه يدلّ على قِدَم المدينة. ناهيك بذلك وجود المواقع الأثرية المجاورة لمدينة اللاذقية، مثل رأس ابن هاني الذي يبعد عن اللاّذقية 11 كم، والميناء البيضاء الذي يبعد 13 كم شمالي اللاذقية، وأوغاريت رأس شمرا التي تبعد 16 كم عن اللاّذقية، والتي بُنِيَت في الألف الثاني ق. م.، وهي المدينة التي أعطت العالم أبجديته المعروفة بالأبجدية الأوغاريتيّة. بالإضافة إلى ذلك، وُجِدَ في

أوجاريت أوّلُ لحنٍ مُـدوّن يعود للألف الثّانية ق. م.، ويبعد موقع رأس البسيط عن المدينة ثمانية كيلومتراتٍ. وكان قديماً مرفأً محصّنًا وقاعدةً يستعدّ فيها المُهاجمون لشنّ الحروب. وهناك أيضًا موقع مار الياس الذي يُعتبَر حصنًا لمدينة اللاّذقية. وهـذا يُشير أن مدينة اللاذقية قديمةٌ جدًا. عندما احتلّ الإسكندر المقدوني سورية على إثر معركة إيسوس، وقعت مدينة اللاذقية تحت الحُكم المقدوني. وبعد موت الإسكندر آلت سورية إلى حُكم السلوقيين نسبةً إلى سلوقس اليوناني الذي يُعزى له بناء مدينة اللاذقية. وعُدَّت مدينة اللاّذقية واحدة من المقاطعات الأربع التي اعتبرها السّلوقيون مركز سورية العليا. فتأثّرت هذه المدينة بالحضارة الهلنستية. احتل الرّومان سورية على يد القائد «بومبيّ»، واستولوا على مدينة اللاذقية عام 31ق.م. وأقام الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس 27 ق.م/ 14م في المدينة موكب النصر وبنى فيها أبنيةً مختلفةً. في عام 193م في عهد الإمبراطور سبتيموس ساويروس، نالَت اللاّذقية كل الإمتيازات التي كانت قبلًا لإنطاكية، فدعاها سبتيما «السّافرية» ومنحَ أهلها شرف الانتساب إليه فصاروا يُدعون «سبتيميّن» وشُيِّدَ قوس النّصر في اللاّذقية الباقية آثاره حتّى اليوم. وفي عام 330 م انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين: شرقية وغربية، فتبعت اللاّذقية الإمبراطورية البيزنطية الشّرقية.

وصلت المسيحية إلى اللاذقية في مطلع تاريخها، على يد المُبشّرين الأوّلين. فقيل إنّ الرسول لوقيوس اللاّذقي كان أوّل أسقف عليها في القرن الأول

الميلادي، ثمّ جاء الإسلام، فتمّ فتح اللاذقية في عام 637م على يد القائد عبادة بن الصامت، وضُمّت المدينة إلى أجناد حمص. ولكن هناك فترة من تاريخ اللاذقية غارقة في الظلام، هي الفترة المُمتدّة ما بين637م و863م، لا يُعرَف عن اللاذقية إلاّ النّذر اليسير، ففي عام 718م في عهد الخليفة الأموي عُمَر بن عبد العزيز، تعرّضت المدينة إلى هجوم من قِبَل الروم، فهدموها فأمر الخليفة بإعادة بنائها وتحصينها في سنة 778م.

في عام 809 م تعرضت المدينة لزلزالٍ عنيفٍ فلم يبق باللاّذقية منزلٌ إلاّ وهُدِمَ فوق أصحابه، ولم ينج إلاّ القليل. وفي عام 1339م، زار ابن بطوطة اللاّذقية، وكان أهمّ ما لفته دير الفاروس والميناء. فقال عن الدّير إنّه أعظم دير بالشّام يسكنه الرّهبان ويقصده النصارى من الآفاق.

وفي عام 1606م، انتقل لواء اللاّذقية لحكم فخر الدين المعني، ولكن في عام 1717م أغار القراصنة على لواء اللاذقية وأسروا عددًا من أهلها وباعوهم في الجزائر، ثمّ آلت اللاذقية في عام 1831م للحكم المصري إبان حكم إبراهيم باشا على بلاد الشام، فأظهر اهتمامًا كبيرًا بأمر المدينة واتّخذها قاعدةً لعساكره. وبعد انسحاب الجيش المصري من بلاد الشام، عاد لواء اللاذقية للحكم العثماني. اشتركت اللاّذقية مع بقية المناطق السورية بالثّورة على العثمانيين أثناء الحرب العالمية الأولى، ورحّبت، هي وتلك المناطق، بحكم الملك فيصل الذي لم يدم طويلًا. وعندما قامت الدولة الفرنسية

المُنتدبة على سورية ولبنان، جعلت من اللاذقية عاصمةً لدولةٍ علويّةٍ قامت على الساحل السّوري. ولكن هذا الأمر لم يدم، وعادت اللاذقية إلى حُضن الدولة السورية الواحدة.

من أهمّ آثار اللاذقية قلعة صلاح الدّين التي تمتلك أهمية استراتيجيّة بسبب موقعها. وقد تمّ بناؤها في عهد الغزوات الصّليبية، ووُصِفَت بأنّها أكثر القلاع مناعةً وقوّةً في الشّرق، وعظمتُها أنّها تقوم على صخرةٍ شاهقةٍ ملساء الحواف، ليس لها سوى ممرّ صخري واحد فقط فوق الخندق الطّبيعي المحفور في الصّخور، والوحيد الذي استطاع السيطرة عليها هو صلاح الدين. ولذلك سُمّيَت القلعة باسمه.

أمّا المناطق السياحية التّابعة لها فهي :

1 ـ «صلنفة» التي تبعد 50 كم إلى الشّرق عن مدينة اللاذقية، وترتفع عن سطح البحر 1200م وتُعَدّ من أجمل المَصايف السياحية في سورية.

2 ـ «كسب» التي تبعد 65 كم شمال مدينة اللاذقية، وترتفع عن سطح البحر 800م.

3 ـ «سلمى» التي تبعد عن صلنفة 12كم وترتفع عن سطح البحر 800م.

***

القامشلي

القامشلي أكبر مدن محافظة الحسكة. ومحافظة الحسكة هي إحدى محافظات سوريا الأربع عشرة. تقع مدينة القامشلي في السهل المُمتدّ تحت

أقدام جبال طورس جنوبًا، وتبعد عن الحدود التّركية نحو كيلو مترين فقط، يقابلها من الشمال وفي الجانب التركي مدينة نصيبين.

يُقال إنّ معنى «القامشلي»، مأخوذ من لفظة تركية هي «قاميش». وهذه اللفظة تعني «القصب» باللّغة التركية، وذلك لكثرة استنبات القصب على نهر «جعجع» الذي ينبع من الأراضي التّركية مارًا بمدينة القامشلي.

سكّانها نسيج اجتماعي مُتجانسٌ، فيه من كُلّ الملل والأقوام والأديان، يُشكّلون من خلال ذلك لوحةً فُسيفسائيّةً متآلفةً ومتحابةً. توسّعت مدينة القامشلي في كلّ الاتجاهات، وخاصّةً في الجنوب باتّجاه المطار، وفي الغرب والشّرق باتّجاه العنترية والهلالية، وأصبحتا ضمن أحياء المدينة. وقد نُظّمت الشوارع فيها بشكلٍ مُستقيم ومتوازٍ، ضمن تنسيقٍ جميلٍ بين أحيائها وهذه الشوارع، وفيها ثمانية وعشرون حيًا. وتبلغ مساحة مدينة القامشلي حوالي 38كم2 تقريبًا. لم تكن المدينة موجودة حتى عام1925، وكل ما كان في موقعها الحالي وجواره تجمّعات من البدو الذين كانوا يرعون أغنامهم بمحيطها ويستخدمون مياه نهر «جغجغ» لإرواء قطعانهم. من هذه القبائل «الحريث» برئاسة حسين المقطف. وقصة نشأة المدينة بدأت عام 1923 عندما أخذ الوجود السّوري يتغلغل نحو الشمال الشرقي، فأحدث قضاء سُمّي قضاء «بياندور» وهي قرية تقع في شرقي القامشلي الحالية بنحو 20كم. ثم انتقل مركز القضاء إلى تلّ «قيرو» وأُطلق عليه

اسم «قضاء كرو». وبعد أن تبيّن أن هذا الموقع غير صالحٍ، انتقل مركز القضاء إلى القامشلي.

***

المالكية

يترك الزّائر مدينة القامشلي السورية مُتّجهًا نحو الشّرق، فإذا قطع ثلاثين كيلومترًا، وَجَد نفسه يصعد في منطقةٍ جبليةٍ قليلة الارتفاع، تتخلّلها هضاب وسهول ووهاد، وكثير من مجاري المياه والسهول. فهو أبـدًا في صعودٍ هيّنٍ أو انحدار خفيفٍ حتّى يصل مدينة المالكية، ثم يتركها بعد أن يمرّ من مركزها باتّجاه الشمال. وتتعاقب المشاهد فيظلّ مأخوذًا بها حتّى يبلغ عين ديوار في أقصى الشمال، هذه القرية الصغيرة التي شهدت الكسوف الكلي الأخير للشّمس واستقطبت اهتمامًا إعلاميًا كبيرًا إذ استضافت أشهر علماء الفلك في العالم.

تقع مدينة المالكية في أقصى الشمال الشرقي من سورية في محافظة الحسكة التي تُعرَف بالجزيرة، في منطقةٍ مرتفعةٍ نسبيًا تبعدُ عن العاصمة دمشق حوالي ألف كيلو متر. فيما تفصلها حوالي ست كيلو مترات عن الحدود التركية، ونحو ثمانية عشر كيلو مترًا عن الحدود العراقية.

تطلّ المالكيّة على نهر دجلة ويشمخ من ورائها جبل جودي في تركيا بقُمّته الشّاهقة التي يُظَن أنّ سفينة نوح وقفت عليه.

في عام 1928م أصبحت هذه المدينة ضمن الأراضي السّورية بعد أن تمّ تخطيط الحـدود بين سورية وتركيا، وتُعرَف هذه المدينة باسم «ديريك». ومنذ ذلك التاريخ أخذت تنمو وتتّسع ودبّ فيها النشاط. تتميّز المالكية ببعض مبانيها القديمة: دار الحكومة (السّرايا) وهي الآن مركز لمديرية المنطقة، الكنيسة القديمة والجامع القديم. ومازالت آثار الثّكنة الفرنسية باقية وشاهدة على دخول الفرنسيّين المدينة وحكمها طوال أعوام احتلالهم ما بين 1920 و 1946. ولعلّ أشهر ما يُميّز هذه المدينة عن غيرها وجود البترول بمنطقتها المُسمّاة الرّميلان وكراتشوك، والغاز في السويدية، إضافةً إلى جسرها الشّهير المُسمّى جسر الرومان. البناء في المالكية مُؤلف من ركيزتين قويتين بعرض عشرة أمتارٍ وارتفاع ثلاثة أمتار تقريبًا، وتقوم القنطرة على هاتين الرّكيزتين بشكل نصف دائرةٍ بيضاويةٍ.

المالكية كثيرة الأمطار والمُعدّل السّنوي فيها يزيد كثيرًا على 500 ملم، لذلك فهي تُعتَبر من أغنى مناطق الجزيرة بالمياه الجوفية. كما تتميّز بتربةٍ بُركانيةٍ عميقةٍ كثيرة الخصب، وتكثُر فيها المروج الطّبيعية التي تنمو في فصل الربيع بحيث تبلغ المتر في بعض الأماكن. ومُناخ المالكية حار صيفًا كباقي أرجاء الجزيرة، وبارد شتاءً لارتفاع المنطقة وقربها من الجبال التركية المكسوة بالثلوج في هذا الفصل. ويُعرَف عن مزارعيها إقبالهم على زراعة الأشجار والمشمش والخوخ بأنواعه والقطن والحبوب. يسود نمط الحياة الرّيفية في

المالكية، ولا شكّ أن الرّابطة الأسرية المتينة هي السائدة وحدها تقريبًا ولا وجود للنزعات الفردية. ويتميّز سكان المالكية بفئاتهم المختلفة من أكراد وسريان وأشور وكلدان وبإفراطهم في الكرم، إذ يحتلّ الضيف المكانة الأولى في المنزل. كما ينتشر الزواج المُبكر في المنطقة ويغلب الطابع الحديث على طقوس الزواج في المدينة. أمّا في الريف فيسود الطابع التقليدي الذي يختلف من فئةٍ إلى أخرى. ومن أفراح المالكية الأخرى عيد النّيروز في 21 آذار الذي يحتفل الناس به بالخروج إلى الطّبيعة، وعيد البربيطة وعيد العمال بالإضافة إلى الأعياد الدّينية إذ يستقبلون الحجّاج بتزيين مداخل بيوتهم بأغصان الأشجار والعبارات الدّينية، كما تُنحَر الذبائح وتُقام الاحتفالات.

***

السّويداء

مدينة السّويداء السورية، قديمة قِدَم التّاريخ. تشتهر بآثارها وبطبيعتها الجبلية السّاحرة. وتقع في أقصى جنوب الجمهورية العربية السّورية، وتبعد عن العاصمة دمشق حوالي 100 كيلومترٍ إلى الجنوب. مدينة السويداء هي كبرى مدن محافظة السّويداء. ترتفع عن سطح البحر 1000 مترٍ، لذلك تُعتبر مصيفًا رائعًا حيث تكون درجات الحرارة صيفًا معتدلةً معظم الوقت. تشتهرُ المحافظة بزراعة التّفاح والعنب بكافّة الأنـواع، وتُعتبَر فاكهتها من أطيب الفاكهة بسبب اعتماد الأشجار على الأمطار وليس على

الرّي.تشهد السويداء حركةً عمرانيّةً واسعةً، وهي تشتهر أيضًا بفن العمارة، حيث تكثر فيها الفيلاّت الجميلة، ذات الحجر الأبيض والحجر الأسود. تحتوي المحافظة بشكلٍ عام على عددٍ من المعامل والمصانع، ولكنّها لا تُعتبر مدينةٌ صناعيةٌ. ويعتمدً معظم الناس في مواردهم على الزّراعة.يُعدّ جنوب سورية من المناطق الغنية بالآثار والأوابد التّاريخية الهامّة. فكل حجرٍ من أحجاره ترجمان يفصح عن تاريخه الحضاري الغابر، ولكلّ موقع من مواقعه الأثريّة قصة مشرقة من الماضي، تلقي ضوءًا وهّاجًا على حضاراتٍ تليدةٍ، ازدهرت في هذه البقعة الجميلة من سورية. منذ العصور الحجرية الوسيطة والحديثة 12000 ـ 4000 ق. مز، سكن الإنسان القديم هذه المنطقة التّي تشمل حاليًا جبل العرب أو محافظة السّويداء، وحوران أو محافظة درعا، والجولان أو محافظة القنيطرة، وخلّف وراءه آثار مساكنه وكهوفه وأدواته الحجرية والصوانية والفخارية. وقد عرف هذا الإنسان تدجين الحيوان وتربيته، واستقر ضمن تجمّعاتٍ زراعيةٍ وقرى منظمة، ومارس الزّراعة بعد استنباط العديد من أصناف الحبوب البرّية، واعتمد عليها في تأمين غذائه اليومي. وكان قبل ذلك يعيش على الصّيد والالتقاط والجمع. وحبك من أغصان النّباتات والأشجار السّلال وطلاها من الداخل بالطين ليحفظ فيها مواده وقوت يومه. ثم طوّر هذا الأسلوب فصنع الأواني والجرار الفخّارية عندما اكتشف تصلب الفخار قرب موقد النار. ثم اخترع الدولاب، فزاد إنتاجه أضعاف ما كان عليه وتحسّنت نوعيته. وعندما اكتشف المعادن كالنحاس والقصدير والحديد 4000 ـ 500 ق. مز، وصنع منها أدوات مختلفة ومنها أسلحته وحليه.

استقرت في هذه المنطقة مُختلف الموجات القادمة من شبه الجزيرة العربية وما بين النهرين من: أكادية، آمورية، كنعانية، آرامية، آشورية، نبطية،

صفائية، غسانية. وتعرّضت للغزو اليوناني، السّلوقي والبلطمي، ثم قدِمت الفتوحات العربية الإسلامية عام 635 م.

عُرِفَت مناطق جنوب سورية قديماً باسم «باشان» أو «بازان»، خلال العصر الكنعاني في الألف الثانية ق.م. وكانت تمتدّ من جبال الحرمون حتّى شرقي الأردن، وحكمها الملك «عوج» ثم خضعت لحكم مملكة دمشق الآرمية خلال الألف الأولى ق.م. وفي أيام الآشوريين حملت تسمية «جبرانوي» أي الأرض المُجوّفة. كما حملت تسميات مختلفة مثل «أورانيتيس» أي بلاد الكهوف والمغائر، و«تراخونيتيس» أي بلاد الحجارة الكثيرة، و«جولانيتيس» أي منقطة الهضاب ذات التحصينات. وسُمِّيَ جبل العرب وقتئذٍ «أسلداموس» وكان ذلك خلال العهود اليونانية – الرومانية – البيزنطية. أما خلال العصر العربي الإسلامي فقد سُمّي جبل العرب بـجبل «الرّيان» أي المُرتوي والمشبع بالخصب، حيث تَغنّى به الشاعر الأموي جرير قائلًا:

يا حبّذا جبل الريان من جبلٍ وحبّذا ساكن الرّيان مَن كانا

كما سُمّي في القرن الحادي عشر الميلادي جبل «بَني هلال» نسبةً إلى قبيلة بني هلال التّي استوطنته قبل مغادرتها إلى شمال إفريقيا. وبعد هجرة الأسر من طائفة المسلمين الموحّدين إليه قادمةً من لبنان في نهاية القرن السّابع عشر وبداية الثّامن عشر،أصبح يُعرف بجبل الدّروز حتى عام 1937، حيث أُطلِقَ عليه اسم «جبل العرب». ويُعرَف حاليًا بمحافظة السّويداء. كما تُعرَف حوران بمحافظة درعا، والجولان بحافظة القنيطرة.

***

القُـدس

القُدس من أقدم مُدُن الأرض التّي سُكِنَت مُنذ العصر الحجريّ الأوّل. هُدِمَت وأعيد بناؤها أكثر من 18 مرّةٍ. وهي عربيّة النّشأة والجذور، وأسّسها الكنعانيون العرب قبل 5000 عام قبل الميلاد حيث سكنها العرب اليبوسيّون وأقاموا مدينتها وأطلقوا عليها اسم «أورسالم» أو «سالم إله السّلام» عند الكنعانيّين. وبالإضافة إلى مدينة السّلام، فقد عُرِفَت القُدس بأسماء كثيرةٍ أهمّها: مدينة يبوس، مدينة إيليا، مدينة بيت القدس.

نشأت النّواة الأولى لمدينة القدس على تلال «الضّهور الطّور» أو «تلّ أوفل» المُطلّة على قرية سلوان، جنوب شرق المسجد الأقصى. هذه النّواة هُجِرَت وحلّت محلّها نواة رئيسةٌ، أقامت على تلالٍ أخرى، مثل مرتفع بيت الزّيتون بريتا ومرتفع ساحة الحرم موريا ومرتفع صهيون، وهي مرتفعات تقع داخل السّور، وتُعرَف اليوم بالقدس القديمة. تنفرد القدس بظاهرةٍ دون سواها من المُدن. فهي الوحيدة التي يقدّسها أهل الدّيانات الثّلاثة.

تقع القدس على هضبةٍ وبين كتلتي جبال نابلس من الشّمال، والخليل من الجنوب. وترتفع عن مستوى سطح البحر الأبيض المتوسط 775 م، وتبعد عنه 52 كيلومترًا، وترتفع عن مستوى سطح البحر الميّت 11500م. هذا الموقع وهذه المكانة الدّينية جعلا القدس، عبر التّاريخ، مطمعًا للغُزاة، فتعاقب على غزوها العبرانيون والأشوريون والفراعنة والإغريق والرّومان والصليبيّون والأتراك والإنكليز، ثم المُنظّمات الصّهيونيّة.

تبلغ مساحة القدس 19931 دونمًا، عدد سكّانها بلغ، عام 1922،

حوالي 62577 نسمةٍ، وعام 1945 حوالي 157080 نسمةٍ. وهي الآن حوالي مليون ونصف مليون نسمة.

تُعتبر القدس من أشهر المُدن السّياحية في العالم، فهي محطّ أنظار سكّان العالم أجمع، حيث الأماكن المقدّسة والتّاريخية والأثريّة. فالمسيحيّون يؤمّونها لزيارة كنيسة القيامة والكنيسة الجثمانيّة وكنيسة مريم العذراء وغيرها الكثير من الأديرة. وفيها أكثر من مئة بناءٍ أثريٍّ إسلاميّ، إضافةً إلى قبّة الصّخرة والمسجد الأقصى وحائط البرّاق ومدافن ومقامات للصّحابة والتّابعين.

للقدس 7 أبوابٍ هي: باب العمود، باب السّاهرة، باب الأسباط، باب المغاربة، باب النّبي داود، باب الخليل، باب الحديد.

احتلّت المنظّمات الصّهيونية المُسلّحة الجزء الغربي من مدينة القدس في 28 / 4 / 1948 وفي 7 / 6 / 1967 احتلّت الجُزء الشّرقي منها، وفي 27 / 6 / 1967، أقرّ الكنيست الإسرائيلي ضمّ شطريّ القدس، وفي 30 / 7 / 1980 أُعلِنَت المدينة عاصمةً لإسرائيل.

مُنذ بداية الاحتلال عام 1967، وشَرَعت سُلطات الاحتلال تنفّذ الخُطط والإجراءات الرّامية إلى تهويد المدينة المُقدّسة. فقامت بربط سكّان القدس الشّرقية إداريًا وقضائيًا واقتصاديًا وتعليميًا بالواقع الإسرائيلي، إلاّ أنّ أخطر الإجراءات وأكثرها تعسّفًا هو الاستيطان والاستيلاء على الأراضي والمنازل. فقد قامت قوّات الاحتلال بهدم حيّ المغاربة، وطَرَدت سكّانه وأجلت قسمًا كبيرًا من سكّان حيّ الشّرف في البلدة القديمة، وصادرت

الكثير من الأراضي وأقامت المُستعمرات عليها واستولت على العديد من المنازل العربيّة.

صادرت قوّات الاحتلال أكثر من 23 ألف دونم من أراضي القدس الشرقية ومحيطها. وأقامت عليها أكثر من 35 ألف وحدةٍ سكنيّةٍ، في حين يُحّرم على العرب إقامة أيّة وحدةٍ سكنيّةٍ. وما زالت سلطات الاحتلال مستمرةً في مخطّطاتها في مصادرة الأراضي. ويحيط بالقدس حوالي عشرة أحياءٍ سكنيّةٍ يهوديّةٍ وأكثر من 41 مستعمرةٍ، تُشكّل 5 كتلٍ استيطانيّةٍ صنفتها منظمة اليونسكو مدينة تراثية عالمية عام 1981م.

***

رفـح

تقع مدينة رفح في أقصى الجنوب الفلسطيني، وتبعد عن مدينة غزّة حوالي 35 كيلومترًا، وعن خان يونس عشرة كيلومتراتٍ. يحدّها من الغرب البحر الأبيض المتوسّط ومن الشّرق خط الهدنة عام48 ومن الجنوب الحدود المصريّة الفلسطينية.

تُعتبر مدينة رفح من المُدن التّاريخية القديمة. فقد أُنشأت قبل خمسة آلاف عام وعُرِفَت بأسماء عدّةٍ. عرفها الفراعنة باسم «روبيهوي»، وأطلق عليها الآشوريون اسم «رفيحو»، وأطلق عليها الرّومان واليونان اسم «رافيا»، وأطلق عليها العرب اسم «رفح». وممّا زاد من أهمّيتها عبر التاريخ مرور خطّ السّكة الحديديّة، الواصل بين القاهرة وحيفا، في أراضيها، وقد اقتُلِعَ هذا الخط بعد عام 1967.

قُسِّمت مدينة رفح إلى شطرين بعد اتفاقية كامب ديفيد، حيث استعادت مصر سيناء. وإثر هذه الاتفاقية، انفصلت رفح سيناء عن رفح الأم. وتُقدّر مساحة ما ضُمّ إلى الجانب المصري بحوالى 4000 دونم، وبقي من مساحة أراضيها 15500 دونم، اقتطع منها حوالي 3500 دونمٍ للمستوطنات.

تُقدّر المساحة المزروعة في رفح بحوالي 7500 دونم، تُزرع فيها مُختلف أنواع المزروعات كالحمضيات واللوزيات والخضراوات، ويعمل في هذا المجال ما يزيد على ألف مواطنٍ. تطوّرت الزراعة فيها وأخذت تَستخدم الوسائل الحديثة والطّرق العلميةً في الزّراعة. وازدهرت الحركة التّجارية في رفح نتيجةً لتدفّق رؤوس الأموال من أبنائها العاملين في الخارج. وتقتصر الصّناعة على الصّناعات البسيطة، كصناعة الألبان والألبسة والحلوى، بالإضافة إلى العديد من الوُرَش الصّغيرة. ويوجد في مدينة رفح لجنة زكاة رفح تكفل مئات الأيتام وتعمل على مساعدة الفقراء وتشرف على عددٍ من مراكز تحفيظ القرآن.

بلغ عدد سكّانها عام 1967م، أيّ بعد الاحتلال، حوالي 10800 نسمةٍ من السّكان الأصليين، أمّا عدد سكان مُخيّم رفح فحوالي 39000 نسمةٍ.

تأسّست في المدينة أوّل مدرسةٍ ابتدائيّةٍ عام 1936م، وتطوّرت الحركة التّعليمية بشكلٍ ملحوظٍ وفُتِحَ العديد من المدارس لجميع المراحل الدّراسية.

في المدينة فرعٌ للإتّحاد النّسائي الفلسطيني الذي مقرّه الرّئيسي مدينة غزّة، ويشرف على مراكز تعليميّةٍ للخياطة والتّطريز، وعلى دُورٍ للحضانة ومركز لمحو الأميّة. صادرت سلطات الاحتلال قسماً من أراضي رفح، وأقامت عليها مستوطنة «رفيح بام» وهي تقع غربي رفح.

***